

## رواية الأجيال وخصائصها الفنية

عبد المنعم بري<sup>١</sup>

### الملخص

قد تنوعت أقسام الرواية الحديثة مع جري الزمن نظرا إلى متطلبات العصر وضروريات المجتمع. ومن هذه الأنواع "رواية الأجيال" التي انتشرت في ساحات الآداب العالمية كلها بعدما ظهرت في الأدب الفرنسي في مطلع القرن العشرين. وقد تكمن أهمية هذا الجنس في الحقيقة بأنه أصبح أقدر وسيلة على تقديم واقعية المجتمع وقضاياها حيث يوفر للقارئ فرصة الاطلاع على الأطراف الكثيرة لحدث واحد، ومن ثم فرصة المقارنة بين الأجيال العديدة التي عاشت قبل هذا الحدث، وفي حينها وبعدها. ومن هنا أركز في هذا البحث على مفهوم هذا النوع المهم من الأنواع الروائية التي تم كتابتها من قبل الأدباء البارزين، كما أحاول أن أستكشف عن أهم الميزات والخصائص لهذا النوع الروائي.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الأدب الفرنسي، رواية الأجيال، رومان رولان، الدائرية، المسلسل.

### مفهوم رواية الأجيال لغة:

يطلق مصطلح 'رواية الأجيال' في الأدب العربي على مصطلح فرنسي "Roman-Fleuve" الذي ظهر في الأدب الفرنسي في العقد الأول من القرن العشرين إذ أطلقه الروائي الفرنسي الشهير رومان رولان (Romain Rolland) على روايته جان كريستوف (Jean Christophe)، وذلك في مقدمة الجزء السابع من روايته المسعى بـ "في البيت"

---

١ باحث في قسم اللغة العربية وأدائها، جامعة كشمير، سري نغر، الهند

(Dans La Maison) سنة ١٩٠٩ م.<sup>١</sup>

إن مصطلح "Roman-Fleuve" مكون من كلمتين فرنسيتين؛ "Roman" و"Fluve"، فأما كلمة Roman فتطلق على الرواية<sup>٢</sup>، وأما كلمة "Fluve" فتدل على النهر الذي ينتهي إلى البحر<sup>٣</sup> في اللغة الفرنسية. وبهذا إن كلمة "Fluve" في هذا المركب تدل على التدفق والانسحاب السردى. كما تدل على حيوية الفكرة أو الموضوع وحيثه، وأما كلمة "Roman" فتوفر هذه الفكرة إطارا يقيدها ويجعلها في صورة مقبولة ومؤثرة.<sup>٤</sup>

### مفهوم رواية الأجيال اصطلاحا:

وأما معنى 'رواية الأجيال' الاصطلاحي فقد عرفتها 'موسوعة بريتانیکا'، بأنها "سلسلة من الروايات، كل واحدة منها مكتملة في حد ذاتها، وتتعامل مع شخصية مركزية واحدة، أو تعالج عصر الحياة الوطنية، أو تقدم أجيالا متعاقبة من الأسرة."<sup>٥</sup> وكذلك عرفها 'قاموس التراث الأمريكي للغة الإنكليزية' بأنها "رواية طويلة تتكون من عدة الأجزاء، وتسرد تاريخ الأجيال العديدة من عائلة أو مجتمع أو مجموعة أخرى،

---

Collins, Ashok. "The Roman-Fleuve." The Cambridge History of the Novel in French, ١ edited by Adam Watt, Cambridge University Press, Cambridge, 2021, p. 441.

Atkins, Beryl T., Duval, Alain and C. Milne, Rosemary. Collins Robert French ٢ Dictionary. Thirtieth Anniversary Edition. Glasgow : Harpercollins Publishers, 2008. P. 873.

٣ نفس المصدر. ص. ٤١٨.

Felber, Lynette. Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve. ٤ Gainesville, Florida : University Press of Florida, 1995. p. 12.

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "roman-fleuve". Encyclopedia Britannica, 23 ٥ Aug. 2007, <https://www.britannica.com/art/roman-fleuve>. Accessed 23 November 2022.

وتقدم نظرة شاملة للمجتمع خلال عصر معين<sup>١</sup>. وكذلك عرفه 'معجم وبستير لكليات العالم الجديد' بأنها "رواية طويلة تشتمل على المجلدات العديدة، وتتعامل مع شريحة واسعة من المجتمع، أو الأجيال العديدة من عائلة، وما إلى ذلك"<sup>٢</sup>. وقد عرفها أحد الباحثين العرب بأنها "رواية طويلة جدا يشترك في صنع أحداثها عدد كبير من الشخصيات المنتمية -في الغالب- إلى أجيال متعددة"<sup>٣</sup>.

فمن هنا نلخص أن رواية الأجيال هي رواية تنتهي من حيث الجزور والنشأة إلى الأدب الفرنسي وتعنى بها رواية طويلة تتكون من عدة الأجزاء وكل جزء يمثل رواية مستقلة تشتمل على جميع عناصر الرواية، وتحتوي على سرد حياة المجتمع من خلال أجياله العديدة بتقديم حياتها وقضاياها في كل فترة عاشها مختلف الأجيال لهذا المجتمع.

وقد اختلف الأدباء واللسانيون العرب في ترجمة مصطلح "Roman-Fleuve"، فقد ترجمه البعض بالترجمة الحرفية وترجمه الآخرون بترجمة تناسبه من حيث خصائص هذا النوع الروائي الفنية. فمثلا ترجمه الناقد العربي الكبير محمد غنيمي الهلال بالقصة النهرية؛ نظرا إلى ترجمته الحرفية، وترجمه أحد الباحثين بالرواية

---

Soukhanov, Anne H. The American Heritage Dictionary of The English Language. <sup>١</sup>  
Fourth. Boston, New York : Houghton Mifflin Company, 2006. p. 1511.

Agnes, Michael. Webster's New World College Dictionary. Cleveland, Ohio : Wiley <sup>٢</sup>  
Publishing, Inc., 2004. p. 1244.

٣ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥. ص. ٣٦.

٤ هلال، محمد غنيمي. في النقد التطبيقي والمقارن. الفجالة- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر. ص. ٢٧.

الانسيابية<sup>١</sup> نظرا إلى انسياب مادته من جزء إلى آخر، ولكن أكثر الباحثين العرب ذهبوا إلى ترجمة هذا المصطلح بـ "رواية الأجيال" وفضّلت ترجمته برواية الأجيال لكثرة تداولها بين الباحثين، ولكونها أدق ترجمته من حيث الخصائص الفنية والمنطقية. وقد فضّلت هذه الترجمة أيضا لأن الترجمة الحرفية لهذا المصطلح لا تشير إلى طبيعة هذا الجنس، وترجمته بالرواية الانسيابية قد يلتبس بمفهوم رواية تيار الوعي حيث تعبر عن الانسياب المتواصل للأفكار داخل الذهن، فلرفع الغموض وكثرة إشاعتها بين الفئة الأدبية آثرت ترجمة "رواية الأجيال" على التراجم الأخرى.

### خصائص رواية الأجيال الفنية

تتسم رواية الأجيال بجميع الصفات التي يتصف بها الرواية العامة، إذ تشتمل على جميع العناصر الأساسية التي تقوم عليها بنيتها السردية مثل الحبكة والمكان والزمان والشخصيات واللغة والحدث والصراع. ومع هذا تتميز رواية الأجيال ببعض الميزات التي تميزها عن غيرها من الروايات، وهي كالتالي:

١. إن رواية الأجيال تشتمل على سلسلة من الروايات المستقلة، فتكون مؤلفة من الروايات العديدة<sup>٢</sup>، كلها مكونة من عناصرها الروائية الكاملة على حد ذاتها. وتكون جميع أجزاء الرواية متماسكة بحيث تشكل عملا طويلا واحدا وذلك بحفاظه على موضوع رئيسي واحد والروابط التي تربط بين أجزاءها المختلفة. وكل هذا نجده في روايات الأجيال بدءا من عصر بلزاك إلى عصر ازدهار رواية الأجيال في الأدب الفرنسي. وكذلك لو نظرنا إلى روايات الأجيال في الأدب الإنكليزي والأدب العربي نجدها مؤلفة من الروايات المستقلة المتعددة. ويجدر بالذكر هنا أن

---

١ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥. ص. ٣٦.

٢ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٥. ص. ٧٨.

الروايات التي تتألف من جزء واحد وتستغرق أحداثها عدة أجيال من الزمن، لا ندخلها في إطار رواية الأجيال لخلوها من الميزة المهمة لهذا الجنس الروائي.

٢. إن رواية الأجيال تشتمل على عدد كبير من الشخصيات، حتى يعجز القاري في بعض الأحيان على إحصاء هذه الشخصيات بالدقة وقد يفوق هذا العدد على آلاف من الشخصيات الرئيسية أو الثانوية في بعض الروايات. ويلاحظ هنا أن بطل رواية الأجيال قد يختلف من رواية إلى أخرى لأنه قد يموت في جزء من أجزاءها فيحل محله بطل آخر يمثل جيلا آخر من نفس المجتمع، ويتيح للقاري فرصة المقارنة بين شخصية البطل الأول وشخصية البطل الثاني في معاملتهم لمختلف المناسبات ومدى تطورهم مع جري الزمن وكيفية هذا التطور مينا سلبيات كل بطل نيابة عن المجتمع والجيل الذي يمثله ذلك البطل.

٣. فإذا امتازت الرواية العامة بخاتمتها، لا تتصف رواية الأجيال بهذه الميزة المهمة التي توجد عيبا في الرواية التقليدية،<sup>١</sup> ومع أننا إذا نظرنا إلى خاتمة روايات الأجيال فإننا نجد أن خاتمة إحدى أجزائها قد تكون مفتاحا للجزء الآخر، وكل جزء يلوح إلى الخاتمة في آخرها غير أنها تفسد في الجزء التالي. وهكذا نجد السرد في رواية الأجيال يهرب من الخاتمة بحيث إذا قرأنا الرواية الأولى بأكملها وبدأنا القراءة في الثانية، شعرنا بأن الخاتمة الأولى لم تكن خاتمة الرواية في الحقيقة، وإنما كانت تمثل خاتمة مؤقتة للجزء الذي انتهينا من قراءته، ولا خاتمة الرواية بنفسها. وهكذا تبدو الخاتمات في روايات الأجيال مفتقرة إلى النهاية بالمعنى الدقيق، إذ تسمح للقصة بالمضي إلى المستقبل بدلا من إيقافها وربط كل النهايات المفتوحة والمغفلات بإحكام. على أنه تخدم هذه الخاتمات هدفا آخر حيث تبث الرواية في نفس قارئها ما فيها من الحياة، وتربطه بتاريخ حقيقي يربط الرواية وقارئها بالعالم الحقيقي. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى ما قاله الناقد الإنكليزي 'مارتن ويليس': "إن نهاية الرواية بالخاتمة أو بوسائل أخرى، نادرا ما تكون محددة إلى حد ألا تسمح بفتحها مرة أخرى في رواية لاحقة تضم نفس الشخصيات. (ولهذا تعرف سلسلة

---

Felber, Lynette. Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve. ١

Gainesville, Florida : University Press of Florida, 1995. p. 3.

الروايات المترابطة باسم رواية الأجيال).<sup>١</sup> فإذا نعتقد بأن الرواية هي أقوى وسائل التعبير عن الحياة الإنسانية، والحياة الإنسانية مستمرة رغم ما يحدث فيها من الآفات والحوادث، فرواية الأجيال تشبه أكثر بالحياة الإنسانية حيث تستمر وتستأنف بعدما حدث ما حدث فيها وزعمها القراء بأنها خاتمة لها وليست كذلك.

٤. إن رواية الأجيال تتميز عن غيرها من الروايات بالميزة الدائرية،<sup>٢</sup> وهي عودة بعض الشخصيات إلى الظهور من وقت إلى آخر في أجزاءها المسلسلة. فإذا انتقلنا من قراءة الجزء الأول لرواية من هذا النوع، إلى الجزء الآخر وجدنا الشخصيات الرئيسية التي كانت حية في ختامه تستأنف السرد في الجزء الآخر. وكذلك نشاهد أن هناك الشخصيات التي تلعب أدوارا مختصة من الطب والقضاء وضبط الشرطة وغيرها فقط، تعود إلى الظهور من حين إلى آخرى في أجزاءها المختلفة، كما نشاهد ذلك في سائر روايات الأجيال بدءا من 'جان كريستوف' إلى روايات الأجيال العربية. وعلى سبيل المثال نذكر ما نشاهد في رجوع بعض الشخصيات في عدة أجزاء الملهمة البشرية لبلزك، فإذا مرض بطل إحدى روايات الملهمة نراه يرجع إلى نفس الطبيب "بيانكون" (Bianchon) الذي يرجع إليه أبطال الروايات الأخرى للمعالجة وهلم جرا. وهذه الميزة تؤتي رواية الأجيال الوحدة التي تربط بين أجزاءها المختلفة وتجعلها متماسكة في صورة رواية طويلة واحدة.

٥. ترتبط رواية الأجيال ارتباطا وثيقا بالواقعية، فهي تعالج قضايا المجتمع وتاريخه معالجة شاملة وتصور ما توجد فيه الأفكار والتقاليد والنظم تصورا دقيقا.<sup>٣</sup> فموضوع الرواية الرئيسي هو مسيرة الحياة وتغيرها عبر مسيرة الأجيال، ولا

---

١ Martin, Wallace. Recent Theories of Narrative. Ithaca, New York : Cornell University Press, 1986. p. 84.

٢ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥. ص. ٧٨.

٣ عبيدات، زهير محمود سليمان. رواية الأجيال في الأدب العربي الحديث. الأردن: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤. ص. ١٤.

تكتفي هذه الرواية بتصوير مرحلة من مراحل الحياة، أو تصوير نضال الناس ضد ما يعانونه من النظام الفاسد أو المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، بل إنها تصوّر أحوال الناس قبل هذا النضال وما جرى أثناءه وما بعده. وبهذا كله تعتبر رواية الأجيال أكثر واقعية من الروايات الواقعية الأخرى لأنها تصور تقلبات حياة المجتمع وتحللها، وتبين الأسباب التي أدت إلى هذه التقلبات، وتؤتي القارئ فرصة المقارنة بين الأجيال المختلفة لنفس المجتمع حتى يظهر أمامه حقيقة هذه التقلبات وما تحمل معها من الإيجابيات والسلبيات.

٦. إن رواية الأجيال لا تهتم بالحبكة المحكمة المتناسكة بل تعتمد على حبكة تتوزع في سائر أجزاءها الروائية<sup>١</sup> فطبيعة رواية الأجيال الانسيابية وتقديمها للتفاصيل الدقيقة تجعلها تبتعد عن الحبكة المحكمة. ولا شك في أن الكاتب يحبك الحبكة لرواية الأجيال بشكل يسمح له استمرار الأحداث بين الأجيال العديدة من المجتمع ويربط بين الأحداث بحيث تشكل عملا واحدا متماسكا في النهاية.

٧. إن الزمان من السمات الرئيسية لرواية الأجيال، وله محوران: فأما المحور الأول فهو يتعلق بالزمان الذي تستغرقه أحداث هذا الجنس الروائي. فنقول إن الزمان في رواية الأجيال تكون ممتدا لعقود من الزمن، وقد تكون تحتوي على أكثر من قرن من الزمن. وهذه الميزة تجعل هذا الجنس في مسعى الموسوعات التاريخية حيث يشتمل على تاريخ عهد طويل للمجتمع الواحد. وأما المحور الثاني فهو يتعلق بالثغرات الزمانية المؤقتة التي تحول بين إصدار الأجزاء المختلفة من رواية الأجيال. وقد يمتد زمن هذه الثغرات أعواما، فتتطلب وقتا طويلا لقراءتها وقد يطول لعقود من الزمن بعض الأحيان. ولذلك قد تسبب أحيانا في إزعاج القارئ وعدم متابعة القراءة في الأجزاء التالية، وهنا يتطلب من الكاتب أن يكون مميّزا في الزكاء والمهارة بحيث يستمر السرد في الجزء التالي بنفس الأسلوب واللغة والمرونة التي كان قد كتب بها الجزء السالف. وكذلك لا بد للكاتب أن يختار موضوعا

١ المصدر السابق، ص. ١٧.

نافعا وشيقا لكتابة مثل هذه الرواية حتى لا يتنفر القارئ عن قراءتها أو يتركها في وسطها، أو يعتبرها ضياء لوقته الثمين.<sup>1</sup>

## خاتمة

وملخص القول إن رواية الأجيال تنتمي من حيث الجذور والنشأة إلى الأدب الفرنسي، حيث ترعرعت على أيدي عباقرة الآداب العالمية حتى أصبحت جنسا روائيا مستقلا. وقد امتازت هذه الرواية بخصائصها الفنية التي جعلها تمتاز بين جميع الأجناس الروائية الأخرى. وقد تعد هذه الرواية من أقدر الأجناس الروائية على تصوير الواقع وتبينه للقارئ ولكنها في وقت ذاته تعد تحديا بالنسبة للكاتب بحيث تتطلب منه المزيد من البحث والعناية إبان كتابتها.

## المصادر والمراجع

١. عبيدات، زهير محمود سليمان. *رواية الأجيال في الأدب العربي الحديث*. الأردن: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤.
٢. الفاخوري، حنا. *الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث*. بيروت، لبنان: دار الجيل، ١٩٨٦.
٣. محمد، أحمد سيد. *الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب* (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥.
٤. هلال، محمد غنيبي. *في النقد التطبيقي والمقارن*. الفجالة-القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

5. **Agnes, Michael.** *Webster's New World College Dictionary*. Cleveland, Ohio : Wiley Publishing, Inc., 2004.
6. **Collins, Ashok.** "The Roman-Fleuve." *The Cambridge History of the Novel in French*, edited by Adam Watt, Cambridge University Press, Cambridge, 2021, pp. 439–455.

---

1 Felber, Lynette. *Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve*. Gainesville, Florida : University Press of Florida, 1995. p. ix-x.



7. **Atkins, Beryl T., Duval, Alain and C. Milne, Rosemary.** *Collins Robert French Dictionary*. Thirtieth Anniversary Edition. Glasgow : Harpercollins Publishers, 2008.
8. Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Roman-Fleuve". *Encyclopedia Britannica*, 23 Aug. 2007, <https://www.britannica.com/art/roman-fleuve>. Accessed 23 November 2022.
9. **Felber, Lynette.** *Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve*. Gainesville, Florida : University Press of Florida, 1995.
10. **Martin, Wallace.** *Recent Theories of Narrative*. Ithaca, New York : Cornell University Press, 1986.
11. **Soukhanov, Anne H.** *The American Heritage Dictionary of The English Language*. Fourth. Boston, New York : Houghton Mifflin Company, 2006.